طلقة (٣)

(مع رجاله في كل لحظة)

متصوف على رقعة شطرنج

في قصر عابدين حيث تتواجد قوات الحرس الملكي، كان الضباط الشبان من زملاء الملازم سعد الدين الشاذلي يتندرون فيما بينهم عن ذلك الزميل الذي يريد أن يترك العسكرية الفخمة ويلقي بنفسه إلى البارود والدم.

قال الأول: هل الشاذلي أكثر وطنية منا جميعا؟

قال الثاني: هناك فئة من الناس تبحث عن التعب وتسعى اليه أكثر من الراحة وزميلنا الضابط الشاب من هذا النوع!!

الأول: لأنه من عائلة كبيرة تحب العسكرية.

الثاني: مبروك عليه إذا وافق القائد على إعادته للجيش ربما نستعيد المسجد الأقصى على يديه!!

وكان أغلب زملائه يسألون أنفسهم كثيراً عن التركيبة الفريدة التي ساهمت في تشكيل عقلية ووجدان هذا الضابط دون غيره، حيث أن جذور عائلته تنتمي إلى مولانا أبي الحسن الشاذلي الذي جاء من المغرب وسكن صحراء البحر الأحمر في منطقة حميثرة وكان المعتاد أن تسلك قوافل الحج المغربية طريقاً يسمى بدروب المغاربة وكان قريباً من مدن الصعيد قوص وأسوان وأخميم، حيث تؤدي إلى ميناء عيذاب القصير حالياً على ساحل البحر الأحمر.

وقد غير الشاذلي اتجاهه من قوص إلى الجنوب، حيث مدينة حميثرة، وهناك أدرك أن نهايته ستكون هنا وكانت بصيرته في محلها، وأوصى أتباعه بالمضي على طريق أبي العباس المرسي الذي استقر مقامه بالإسكندرية وأصبح من معالمها، وشكل مع الشاذلي والسيد البدوي في طنطا أضلاع المثلث الصوفي الكبير يضاف اليهم بعد ذلك سيدي ابراهيم الدسوقي هذا عن الجانب الروحاني في تكوين الضابط الشاب فماذا عن الجوانب لعائلة كبيرة فيها المزارع والتاجر والعسكري، فقد كان جده قائد الجيوش المصرية في السودان على أيام الخديوي إسماعيل، إلى

جانب من حاربوا مع القائد أحمد عرابي خلال الثورة العرابية في معركة التل الكبير، وفوق ذلك تشير المصادر التاريخية إلى أن عمه عبدالسلام باشا الشاذلي الذي كان مديراً لمديرية البحيرة أنشئ في عهده دار أوبرا دمنهور التي تقع على بعد ٥٠ كيلومترا تقريباً من الإسكندرية، ثم عمل بعد ذلك وزيراً للأوقاف، وهكذا نجد أن العم قد جمع بين الإيمان بالأوبرا والوصول إلى منصب وزير الأوقاف.

وشب الصبي يستمع على حوارات غريبة وحكايات مثيرة عن الاحتلال الانكليزي، وقد ورث عن والده إلى جانب الحكمة والتعقل وحل المشاكل في المنطقة، ورث حبه للشطرنج وهي لعبة القادة دائماً وأبداً، عاش الضابط الشاب على أعصابه في انتظار الرد على طلبه وكان يحترق شوقاً للذهاب مع الجموع العربية إلى فلسطين، فكيف كان الحال وقتها هناك؟

السادات يحكي

في كتابه صفحات مجهولة من كتاب الثورة الذي أعده الرئيس أنور السادات كتب يقول: بينما كنا نتحرك كضباط أحرار وننظم أنفسنا جاء عام ١٩٤٨ وبدأت أحداث فلسطين تفرض نفسها وكان علينا كضباط أن نولي وجوهنا شطرها، حيث التهبت المشاعر عقب الاعتداءات اليهودية المتتابعة على عرب فلسطين العزل من السلاح، وقرر الشباب العربي في مختلف البلاد أن يخوض الحرب المقدسة دفاعاً عن العروبة في أعز ديارها، وفي الأيام الأولى لهذه الأحداث لم يكن قد تقرر أن يخوض الجيش المصري المعركة وكانت الحكومة في موقف لا تستطيع معه منع الجماعات الثائرة من الشباب من خوض هذه المعركة كمتطوعين أي أن الإعلان الشعبي للحرب سبق الإعلان الرسمي وكانت جماعة الإخوان المسلمين قد أعلنت عن فتح باب التطوع وقررت أن تحارب.. وبدأ الضباط الشباب الأحرار في الاتصال بقيادة الجماعة، وعقدت عدة اجتماعات في بيت حسن البنا مؤسس حركة الإخوان حضرها جمال عبدالناصر وكان إذ ذاك في كلية أركان

الحرب ومعه ضابط المدفعية كمال الدين حسين وبعض الضباط الذين كانوا ينتمون إلى جماعة الإخوان.. وفي الوقت نفس نشأت صلات بين هؤلاء والحاج أمين الحسين مفتي فلسطين ودخلت جامعة الدول العربية على الخط.

وكان الهدف من هذه التحركات والاجتماعات تكوين تشكيلات مسلحة وتدريبها وإعدادها إعداداً كاملاً بكل ما تحتاج اليه من خبرة ومن سلاح قبل التطوع لخوض غمار المعركة المقدسة.. وكان الإخوان يقولون انهم مستعدون إلى أقصى حد وأنهم لا ينقصهم سوى السماح لهم بالسفر إلى فلسطين وقد أعلنت الجامعة العربية عن استعدادها لتسليح هؤلاء والإنفاق عليهم.. ولان الجيش حتى هذا الوقت لم يكن قد أعلن موقفه رسمياً من الحرب فكر بعض الضباط في الاستقالة للاشتراك كمتطوعين.

وهكذا نكتشف أن الشاذلي لم يكن وحده الذي فكر في التطوع، وليس هناك ما يدهشنا في ذلك، خاصة أن الشاذلي بشكل أو بآخر كان قريباً من الضباط الأحرار وشاركهم أحلامهم وغضبهم وتواصل معهم وقد جمعته الصداقة والجيرة في السكن مع جمال عبدالناصر الذي كان يسبقه في الرتبة العسكرية والسن، وأدركت الحكومة المصرية أن الغضب الشعبي والعسكري لن يتركها، وفكرت في ارسال جماعة من ضباط المهندسين للقيام بأعمال استكشافية ووجدت أن خير وسيلة لذلك هي أن تقبل ما كان الضباط يطالبون به من اباحة احالتهم إلى الاستيداع أو قبول استقالتهم وتركهم للذهاب إلى الميدان بأسلحتهم كمتطوعين وفوجئ الضباط باشارات تأتيهم لمقابلة الفريق عثمان مهدي باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش في ذلك الوقت ولبي الضباط الاشارة وفي مكتب رئيس الأركان وجدوا البطل الشهيد أحمد عبدالعزيز وأخبرهم الفريق عثمان أن طلباتهم قد قُبلت وأنهم يستطيعون إعداد أنفسهم للتطوع، وكانت الجامعة العربية قد بدأت تنظم تشكيلاتها بالاشتراك مع مفتي فلسطين وقرروا تقسيم فلسطين إلى أربعة قطاعات

بأربع قيادات ميدان على أن تخضع كلها للجنة عسكرية ومقرها دمشق ومثل مصر فيها اللواء صالح حرب وكان القطاع المصري في فلسطين هو قطاع الجنوب وقد عينت الجامعة لقيادته اللواء سليمان عبدالواحد سبل وكانت المجموعة تعرف اللواء سبل من قبل فقد كان الفريق ابراهيم عطا الله قد أخرجه من الجيش فأقام الضباط له حفل تكريم في نادي الضباط لا لتكريمه فعلاً ولكن تحدياً لابراهيم عطا الله وكان مع اللواء سبل ضابط مخابرات هو اليوزباشي مصطفى كمال صدقي وقد سافر سبل إلى فلسطين مع متطوعي الجامعة العربية والمفتي، ولكنه لم يمكث هناك طويلاً فقد دب النفور بينه وبين ضابط مخابراته ثم عاد هو ولم يرجع مرة أخرى إلى الميدان، وبدأ الضباط المتطوعون في تلك الأيام يعدون أنفسهم للسفر ويتدربون ولما تم تعيين أحمد عبدالعزيز قائداً لقوات المتطوعين ذهبوا إلى منزل اللواء سبل للحصول على معلومات حول جبهة فلسطين ولم يحصلوا على شيء وكانت ظروف الاعداد قاسية وأصابت أغلبهم بالاحباط.

فهل مايزال الشاذلي بعد ذلك على اصراره للسفر إلى فلسطين؟!

خارج السياق :

في ٢٩ مايو ١٩٩٨ تنشر الصحف ووكالات الأنباء العالمية تصريحات على لسان أحد القادة العسكريين الإسرائيليين بان إسرائيل اعتمدت سياسة القوة مع دول الشرق الأوسط فقامت بعمليات نشر واسعة لعناصر قوتها النووية ميدانياً بحيث تكون جاهزة للاستخدام وتطول جميع العواصم والمدن الرئيسية العربية، بل والمنشآت النووية الإيرانية والباكستانية والقاهرة والسد العالي وفي الوقت نفسه حذر الكيان الصهيوني من امتلاك العرب للسلاح النووي، وأكدت أنها لن تسمح بذلك فماذا يمتلك العرب للدفاع عن أنفسهم وهل يحتفظون بصواريخ لها رؤوس كيماوية وجرثومية.

سألت جريدة الشعب الفريق الشاذلي في ظل وجود مبارك وكان جوابه كاشفًا للمستقبل وتحدث كخبير استراتيجي، وسألوه هل يمكن لنا كعرب أن تتخذ من باكستان نموذجاً حيث لم تترك الهند تنفرد بالقوة النووية في المنطقة حتى امتلكت أسلحة الردع النووي فقال الشاذلي: المعلومات المعلنة والمتاحة لنا قبل اجراء التفجيرات النووية الهندية هو أن كل من الهند وباكستان لديهما القدرات لتصنيع القنبلة النووية، ولكن هناك فرق بين المعلومات المعلنة والحقيقة، وتحقق لنا ذلك عندما قامت الهند بالتفجيرات النووية الأخيرة أما هذه الحقيقة بالنسبة لباكستان فهي في دور الافتراض وتصريحات رئيس وزراء باكستان بان بلاده تستطيع إجراء تفجير نووي فنحن نرحب بذلك إلى أن يتم، وأني أناشد باكستان عدم الاستجابة للضغوط الأميركية التي تسعي لمنع باكستان من اجراء تفجيرات نووية.

** **الشعب**: نشرت الصحف ووكالات الأنباء العالمية الأيام الماضية تصريحات شاحاك الخبير الاستراتيجي الإسرائيلي عن امتلاك إسرائيل ٨٠ رأساً نووياً موجهة للعواصم والمدن الرئيسية العربية والمنشآت النووية الباكستانية

والإيرانية والسد العالي والقاهرة.. ما مدى إمكانية القوة النووية الإسرائيلية لضرب هذه الأهداف؟، وهل تستطيع إسرائيل استخدام القوة النووية ضد دول الطرق المجاورة لها؟

* **الشاذلي:** المشكلة أننا ننسي حقائق معروفة منذ سنوات طويلة ونعلم أن إسرائيل منذ ١٩٧٥ لديها قدرات نووية إجمالي قوتها التفجيرية مليون طن من مادة تي. ان. تي ومن يمتلك هذه الإمكانيات قوية الاستخدام ويستطيع أن يستخدمها متى يشاء والمفترض أن هذه الحقيقة يعلمها كل الزعماء العرب وكان لابد من امتلاك الدول العربية لنفس هذه الإمكانيات التي تملكها إسرائيل.

** **الشعب:** ما مدى قدرة الصواريخ طويلة المدى التي تحمل رؤوس كيماوية وجرثومية على تشكيل دفاع رادع للقوة النووية الإسرائيلية؟

* **قال الفريق سعد الدين الشاذلي:** لا شك أن الأسلحة الكيماوية والجرثومية قوية إذا قورنت بالأسلحة التقليدية، وهناك معاهدات دولية تحرم استخدام الأسلحة النووية، وللأسلحة الكيماوية قوة تدميرية ونفسية أكثر من الأسلحة التقليدية ولا تصل لمستوى الأسلحة النووية، أما فيما يتعلق بالجزء الثاني من السؤال عن قدرة الأسلحة الكيماوية على تشكيل رادع لإسرائيل يجعلها تتردد قبل استخدامها السلاح النووي فليس بالقدر الكافي من الردع وعلى سبيل المثال عند إسرائيل سلاح قوته التدميرية يعادل مائة مرة ما تملكه القوة العربية، ومن هنا فان الردع يكون من جانب من يمتلك السلاح الأقوى.

* **الشعب:** على الرغم من أن الولايات المتحدة الأميركية تضمن أمن إسرائيل وترتبط معها باتفاق استراتيجي، وعلى الرغم من التفوق الإسرائيلي المطلق على جميع الدول العربية، فان الولايات المتحدة مارست ضغوطاً لعدم امتلاك العرب للأسلحة النووية، فكيف يمكن الإفلات من الحصار الأميركي والتهديد

الصهيوني؟

* **الشاذلي** : من حق أميركا أن تمارس ضغوطاً على الدول العربية لارغامها على أتباع السياسة الأميركية، ومن حق الدول العربية أن ترفض هذه الضغوط التي ليست في مصلحتها وأمنها، وكان الأجدر بالزعماء العرب رفض هذه الضغوط ما دامت تعرض أمنهم للخطر وكان خطأً كبيراً توقيع الأقطار العربية على معاهدة منع الانتشار النووي، ولقد انتقدت بشدة تراجع الموقف العربي نتيجة الضغوط الأميركية على البلاد العربية بما فيها مصر لتعديل مطلبها بشأن ضرورة أن توقع إسرائيل على معاهدة منع الانتشار النووي، وكنت أشيد في حديث مع ديفيد هيرست الكاتب المعروف عام ١٩٩٥ بالموقف العربي الموحد وأشجع الموقف المصري على رفض التوقيع، وفوجئنا بالتراجع واكتفي العرب بعد التوقيع على المعاهدة بضمانات أن إسرائيل لن تستخدم السلاح النووي في أي حرب مع العرب!!

وإني أناشد زعماء البلدان العربية والإسلامية اتخاذ التفجير النووي الهندي ذريعة للانسحاب من معاهدة منع الانتشار النووي لان هذه المعاهدة لا تطبق إلى على الضعفاء، الباب مفتوحاً للانسحاب من هذه المعاهدة اذا كان القادة العرب يفكرون فعلاً في الخروج من الحصار والضغوط وان يجعلوا مصلحة الأمن العربي فوق كل شيء.

** **الشعب**: هل هناك عقوبات يمكن أن يفرضها المجتمع الدولي على البلدان التي تقرر الانسحاب من معاهدة منع الانتشار النووي؟

* **الشاذلي** : عندما يتعلق الأمر بأمن الدولة وأمن الأمة العربية فلا يجوز أن نتكلم عن العقوبات التي يمكن أن توقع علينا نتيجة التزامنا بموقف الأمن العربي، الرئيس مبارك في عدة مناسبات قال أننا لا نقبل الضغوط من أي جهة أخرى، وان مصلحة بلدنا فوق كل اعتبار، وقد أن الأوان أن توضع هذه التصريحات موضع

التنفيذ.

* **الشعب**: ماذا يقول الفريق سعد الدين الشاذلي عن تصريحات شاحاك عن توجيه الأسلحة النووية الإسرائيلية للسد العالي؟

* **الشاذلي**: لا أستطيع أن استبعد ذلك فهذا ضغط نفسي رهيب والحل الوحيد أن يكون عندي رادع يمنع إسرائيل من قصف السد العالي والقاهرة، فالذي يردع إسرائيل هو أن تعلم أن مصر قادرة على ضرب تل أبيب والقدس وأي مكان في إسرائيل، وان لم تمتلك مصر ذلك فاني لا استبعد أن تقوم إسرائيل بأي ضربة نووية للقاهرة والسد العالي.

* **الشعب**: من هنا يمكن أن نتنبأ بان إسرائيل لن تتخلي عن الخيار النووي والتفوق النووي واستخدام هذا السلاح كأداة مساوية أو ضغط بهدف اجبار الدول العربية على قبول ما تريده إسرائيل وقيامها فعلياً بفرض ما تريد تحت مظلة القوة النووية؟

* **الشاذلي** : قال: أن المستقبل في صالحنا وليس ضدنا، فالدول العربية بامكانياتها البشرية وثرواتها الطبيعية الهائلة تتفوق تفوقاً ساحقاً من وجهة النظر الاستراتيجية على إسرائيل، وهذه حقيقة يعلمها الاستراتيجيون العسكريون الأميركيون والإسرائيليون وأنهم يريدون استغلال الضعف العربي الحالي نتيجة السيطرة الأميركية على النظام الدولي الجديدة ونتيجة اختلال التوازن العسكري بين العرب وإسرائيل بسبب التفكك العربي ويطالبوننا بان نوقع على حلول صلح مع إسرائيل بالشروط الإسرائيلية التي ليست في صالح العرب، وأقول لزعماء الأمة العربية اذا كان الجيل الحالي لم يستطيع أن يسترد الأرض العربية المغتصبة بواسطة الكيان الصهيوني فليتركوا الباب مفتوحاً أمام الأبناء والأحفاد ليحققوا ذلك وألا يوقعوا على معاهدة تكون وثيقة لتكريس الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية.

obeikandl.com